مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

محمد بن أبي عامر وطموحة السياسي في بلاد الأندلس (٣٦٦- ٣٩٢هـ/ ٩٧٧- ١٠٠٢م).

أ/ أحمد رجب إبراهيم(*)

المستخلص

تتناول هذه الورقة سيرة محمد بن أبي عامر المنصور، أحد أبرز القادة في الأندلس الأموية. وُلد المنصور لعائلة يمنية، وبدأ مسيرته في قرطبة بدراسة الفقه قبل دخوله القصر. تدرّج في المناصب خلال عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، وحظي بثقة زوجته صبح البشكنسية، وصية عرش ابنها هشام المؤيد بالله. مكّنته هذه الثقة وكفاءته من شغل مناصب إدارية وقضائية عليا، ليبلغ منصب الحاجب. أسّس المنصور الدولة العامرية داخل الخلافة، ممارساً سلطة واسعة في الأندلس وأجزاء من المغرب العربي. ورغم تثبيته قواعد الحكم لأبنائه، إلا أن سيطرة العامريين على السلطة لم تستمر سوى عقد من الزمان بعد وفاته.

Abstract

This paper examines the life of Muhammad ibn Abi Amer al-Mansur, a prominent leader in Umayyad Andalusia. Born to a Yemeni family, al-Mansur began his career in Cordoba studying jurisprudence before entering the palace. He rose through the ranks during the reign of Caliph al-Hakam al-Mustansir Billah and gained the trust of his wife, Subh al-Bashkansiya, regent for their son Hisham al-Mu'ayyad Billah. This trust, combined with his competence, enabled him to hold high administrative and judicial positions, ultimately reaching the rank of Chamberlain. Al-Mansur established the Amirid state within the Caliphate, wielding extensive authority across Andalusia and parts of the Maghreb. Although he solidified the foundations of rule for his descendants, the Amirid control over power lasted only a decade after his death.

مقدمة

يُعدّ محمد بن أبي عامر شخصية محورية في تاريخ الأندلس الإسلامية، حيث مثّل صعوده السياسي ظاهرة فريدة جسّدت تحولًا عميقًا في بنية الحكم الأموي. لم تكن مسيرته من مجرد "كاتب رقاع" إلى الحاكم الفعلي للدولة مجرد قصة نجاح فردي، بل كانت انعكاساً لجملة من المتغيرات الداخلية والخارجية التي عصفت بالخلافة الأموية في أواخر عهدها.

تتعمق هذه الدراسة في تحليل الجوانب المتعددة لصعود محمد بن أبي عامر، بدءاً من أصوله العائلية ونشأته العلمية التي صقلت شخصيته الطموحة، مروراً بدوره المحوري الذي لعبه في بلاط قرطبة، خاصةً عبر علاقته المميزة بالسيدة صبح، والدة الخليفة هشام المستنصر، والتي كانت مفتاح تدرجه السريع في المناصب. كما تُسلط الضوء على الصراعات السياسية المعقدة التي

(*) معيد بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الوادي الجديد

خاضها المنصور للقضاء على منافسيه، سواء كانوا من الأمراء الصقالبة أو كبار الوزراء، وكيف استغل هذه الصراعات لتعزيز نفوذه وتأسيس سلطة مركزية مطلقة.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل شامل لمسار محمد بن أبي عامر، وكيف تمكن من ترسيخ نفوذه السياسي وإعلان "الحجابة العامرية"، التي مثّلت ذروة السيطرة على مقاليد الحكم، محوّلاً الخليفة إلى مجرد رمز شكلي. ستُبنى هذه الدراسة على استعراض نقدي للمصادر التاريخية المتاحة، مع التركيز على العوامل التي مكّنت المنصور من تحقيق هذه السيطرة غير المسبوقة، وانعكاسات ذلك على مستقبل الخلافة الأموية في الأندلس.

أولاً: محمد بن أبى عامر أصلة ونشأته.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري ينتمي إلى أصول عربية عريقة. كان جده، عبد الملك بن عامر المعافري، من أوائل الفاتحين الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير وطارق بن زياد برز عبد الملك بشجاعته وبراعته خلال الفتح، وكان له دور محوري في إنجازه، كما تمتع بمكانة اجتماعية مرموقة بين قومه. وقد أشار الشاعر والمؤرخ محمد بن حسين إلى فضل عبد الملك في شعره الموجه إلى المنصور، مثنياً على دوره في فتح قرطاجنة ونهبها، ومؤكداً أن الفتوحات اللاحقة في مواجهة الشرك تُنسب إليه بفضله(١).

ينحدر محمد بن أبي عامر من أسرة بني عامر المرموقة في الجزيرة الخضراء بالأندلس، والتي عُرفت بالعلم والجاه. وُلد عام ٣٢٨ هـ/٩٣٩ م في حصن طرّوش، ونشأ على دراسة القرآن والفقه، مُظهراً نجابة وطموحاً استثنائياً(٢).

والده، عبد الله أبو حفص، كان عالماً ورعاً وزاهداً، بينما كانت والدته تنتمي إلى بني تميم. درس محمد في قرطبة على يد أساتذة بارزين كالعلامة اللغوي أبو علي القالي، حيث برع في الأدب والشريعة. عُرف عنه منذ شبابه همّته العالية وطموحه الذي دفعه لتحقيق المراتب الرفيعة(٣).

وبعد أن أتم محمد بن أبي عامر حياته العلمية في جامعة قرطبة، بدأ محمد بن أبي عامر حياته العملية كـ (كاتب رِقاع) يخدم عامة الناس أمام قصر الخليفة، حيث لفتت فصاحته وبراعة أسلوبه انتباه المحيطين بالبلاط، ولم تكن عوامل صعوده، وليدة الصدفة، بل نابعة من إيمانه الراسخ بقدراته وطموحه الكبير. كان مثله الأعلى في ذلك عبد الرحمن الداخل، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، الذي تحدى الصعاب بذكائه وعزيمته. نشأ محمد بن أبي عامر في أسرة مرموقة ذات مكانة سياسية وقضائية في قرطبة، وتلقى تعليمه على يد كبار علماء عصره، مثل اللغوي أبو علي القالي البغدادي والمحدث أبو بكر بن معاوية القرشي(٤).

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

تُشير هذه الخلفية العلمية والاجتماعية إلى أن صعود محمد بن أبي عامر لم يكن مفاجئًا، بل كان نتيجة لمقومات شخصية وفكرية وبيئة مجتمعية تُقدر العلم والمتعلمين، مما مهّد له الطريق ليصبح صاحب الأمر والنهي في الأندلس حتى وفاته سنة ٣٩٢هـ بمدينة سالم.

ثانيًا: علاقة محمد بن أبى عامر بالسيدة صبح وتدرجة في وظائف الدولة.

السيدة صبح، جارية بشكنسية من نبرة تُدعى أورورا، أصبحت زوجة الخليفة الأموي الحكم المستنصر، الذي تولى الخلافة في سن الثامنة والأربعين. رزقته بابنه عبد الرحمن عام ٣٥١هـ/٩٦٢م، الذي توفي مبكرًا، ثم رزقته بابنه هشام بعد ثلاث سنوات، ما جعلها "أم ولد" وذات نفوذ كبير في القصر. بفضل ذكائها وحب الخليفة لها، تمكنت من تولية ابنها هشام ولاية العهد والخلافة، متخطية بذلك إخوته الأكبر منه سنًا(٥).

كان لظهور صبح دور في صعود شخصية أخرى موهوبة هو محمد بن أبي عامر، الذي عُرف لاحقًا بالمنصور(٦). بعد تخرجه من جامعة قرطبة، افتتح ابن أبي عامر دكانًا بالقرب من القصر لتقديم خدمات الكتابة. بلغ خبره السيدة صبح، التي كانت بحاجة لمن يدير أملاكها، فطلبت من الخليفة تعيينه. أظهر ابن أبي عامر كفاءة عالية في عمله، مما أثار إعجاب صبح ودفعها لمساعدته في الترقي بالمناصب(٧).

توطدت علاقة ابن أبي عامر بصبح، التي كانت حسناء وفي ريعان شبابها، بينما كان الخليفة طاعنًا في السن ومريضًا. كان ابن أبي عامر شابًا وسيمًا وساحرًا، وبذل جهدًا كبيرًا لإرضاء صبح، مقدمًا لها الهدايا النفيسة، مثل نموذج قصر فضي بديع الصنع. هذه العناية الفائقة زادت من عطف صبح وشغفها به، وتوسطت له لدى الخليفة لرفع مكانته(٨).

تدرج ابن أبي عامر في المناصب، فتم تعيينه أمينًا لدار السكة، ثم استُخلف على قضاء بعض النواحي في كورة ريّة، ثم رُقي للإشراف على أموال الزكاة والمواريث وإدارة الشرطة في إشبيلية، وأخيرًا وكيلًا لولده هشام ولي العهد(٩). في غضون سنوات قليلة، وصل إلى أرفع وظائف الدولة والقصر، ويعود الفضل في هذا التقدم السريع إلى مواهبه الفذة، وبشكل خاص إلى دعم وحماية السيدة صبح. لاحظ الخليفة افتتان نساء القصر بابن أبي عامر، وأبدى خشيته على ما في يديه(١٠). سرعان ما ذاعت علائق ابن أبي عامر وصبح في قرطبة، وتحولت إلى علاقة غرامية. ارتاب الحكم في طبيعة هذه العلاقة، وحاول بعض خصوم ابن أبي عامر الإيقاع به، متهمين إياه بتبديد الأموال العامة. طلب الحكم حساب الخزانة العامة، التي كان بها عجز كبير. لكن ابن أبي عامر سارع إلى صديقه الوزير ابن حدير، الذي أغار عليه بماله لسد العجز، فزالت شكوك الحكم وتوطدت ثقته فيه(١١).

وقام الخليفة الحكم في عام ٣٥٦هـ/٩٦٧م، بتعيّن ابن أبي عامر، وهو في السابعة والعشرين من عمره، مشرفًا على أملاك ولي العهد عبد الرحمن بمرتب شهري قدره خمسة عشر ديناراً، وكانت هذه نقطة انطلاق لمسيرته التي سرعان ما شهدت ترقيات متتالية(١٢).

بعد وفاة عبد الرحمن، أُسندت إلى محمد بن أبي عامر مهمة الإشراف على ممتلكات الخليفة هشام، مما فتح له أبواب النفوذ. تولى تباعًا مناصب مالية وإدارية عليا، فصار مشرفًا على الخزانة العامة، ثم أمينًا لدار السكة، ومسؤولًا عن خطة المواريث في ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وقاضيًا لكورة إشبيلية ولبْلة. تواصل صعود ابن أبي عامر في عام ٣٦١هـ/٩٧١م بتوليه رئاسة الشرطة الوسطى، ومن ثم إدارة الحشم (الجهاز الخاص للخليفة) في أواخر عهد الحكم المستنصر. هذه المناصب الرفيعة عكست الثقة المتزايدة التي أولاها إياه الخليفة. وقد وصفه ابن حيان بأنه "فتى الدولة"، مشيراً إلى مكانته المرموقة كرئيس للشرطة الوسطى، ومسؤولًا عن المواريث، وقاضي إشبيلية، ووكيل الأمير هشام.(١٣)

لم يكتفِ ابن أبي عامر بمهامه الإدارية، بل حرص على توطيد علاقاته داخل البلاط الأموي. سعى لكسب ود السيدة "صبح" والدة الخليفة هشام المؤيد بالله، مدركًا نفوذها السياسي. كما اجتهد في استرضاء الحاجب جعفر، رغم اختلاف شخصيتيهما. تميز ابن أبي عامر بالجود والكرم وحرصه على استقطاب الرجال، وكانت داره مقصداً للناس، مما خلق له شبكة واسعة من المؤيدين والأنصار(١٤).

بعد وفاة الحكم المستنصر وتولي ابنه الطفل هشام الخلافة، اتخذت الأمور منحى جديداً. تحالف ابن أبي عامر مع الحاجب جعفر لمعارضة الفتيان الصقالبة، وأسفر هذا التحالف عن مقتل مرشحهم للخلافة، المغيرة بن عبد الرحمن الناصر. بعد استقرار الحكم لهشام، تمكن ابن أبي عامر من بسط نفوذه وحجب الخليفة فعلياً، معلنًا تفويضه للنظر في جميع شؤون المملكة ليتمكن الخليفة من التفرغ للعبادة.(١٥)

تُشير الروايات التاريخية إلى أن السيدة صبح كان لها دور كبير في دعم ابن أبي عامر، مدفوعةً بحبها وإعجابها بقدراته. وقد وصلت علاقتهما، بحسب بعض المصادر، إلى حد الفضيحة العلنية التي تناقلتها الأوساط القرطبية، وظهرت حولها قصائد شعبية ساخرة تندد بحجر ابن أبي عامر على الخليفة وعلاقته بوالدته. هذه الأبيات، التي نُسب فيها لهشام قوله:

"أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعًا عليه

وتملك باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شئ في يديه(١٦)"

تعكس حالة الاستقطاب السياسي والانتقاد الذي واجهه ابن أبي عامر. وعلى الرغم من اتفاق معظم الروايات الإسلامية على وجود علاقة طويلة الأمد بين صبح وابن أبي عامر، إلا أن بعض المصادر، مثل المقري في "نفح الطيب"، تورد شهادة لكاتب مغربي ينفي هذه العلاقة بشدة، معتبراً إياها مجرد أكاذيب أطلقها الخصوم بدافع الحسد والتحامل. هذا التباين في الروايات يشير إلى حملة منظمة لتشويه سمعة المنصور من قبل خصومه(١٧).

يُظهر مسار محمد بن أبي عامر نموذجًا فريداً للطموح الفردي المقترن بالدهاء السياسي والقدرة على استغلال التحالفات، بما في ذلك النفوذ النسائي داخل القصر، لتحقيق السيطرة الكاملة على الحكم في الأندلس. لقد تحول من موظف إداري صغير إلى حاكم فعلي للدولة، في مسيرة مليئة بالتحولات والجدل.

ثالثًا: صراع محمد ابن أبي عامر للسيطرة على السلطة

بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، نشأت أزمة خلافة حادة في الأندلس، أسفرت عن انقسام المجتمع إلى فئات متباينة المصالح. تجلت هذه الفئات في: رجال الدولة وأصحاب النفوذ، الذين أيدوا تولي الأمير الشاب هشام بن الحكم، لضمان استمرار نفوذهم الفعلي في إدارة شؤون الدولة، وكان محمد بن أبي عامر من أبرز المؤيدين لهذا التوجه. على النقيض، عارض رجال الجيش تنصيب حاكم قاصر، مفضلين شخصية قيادية ناضجة قادرة على تحمل أعباء الحكم. أما الفئة المحايدة، فكانت ترغب في تولي الأجدر والأكفأ بغض النظر عن خلفيته أو عمره. في حين انحصر اهتمام عامة الناس، وخاصة الفقراء، في البحث عن حاكم يسعى لتحسين أوضاعهم المعيشية وتخفيف معاناتهم(١٨).

تجسد الصراع السياسي بعد وفاة المستنصر في تنافس حاد بين فريقين رئيسيين: الفريق العسكري، الذي ضم أمراء الصقالبة ورجال الجيش تحت قيادة فائق وجؤذر، ودعا إلى تولي المغيرة بن عبد الرحمن الناصر (عم هشام) بسبب صغر سن ولي العهد. في المقابل، تمسك الفريق المدني، بقيادة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر، بتنفيذ وصية الخليفة الراحل بتولية هشام. حُسم النزاع لصالح حزب الوزراء بعد نجاحهم في تدبير مؤامرة أدت إلى اغتيال المغيرة، مما مهد الطريق أمام تولي هشام الحكم فعلياً بدعم من حلفائه(١٩).

بجلوس هشام المؤيد على العرش، تحقق مشروع الثلاثة ذوي السلطان، وهم: صبح (والدة هشام) التي حرصت على تولي ابنها لتمارس الحكم باسمه، ومحمد بن أبي عامر الذي دعم صبح للحفاظ على مكانته ونفوذه، وجعفر بن عثمان المصحفي الذي خشي من تولي المغيرة مدعوماً من الصقالبة، مما كان سيهدد سلطانه. هذا التحالف كان ظرفياً فرضته المصالح المشتركة، رغم التنافس البادي بين جعفر وابن أبي عامر.

توطدت علاقة محمد بن أبي عامر بصبح بعد وفاة الحكم المستنصر، إذ رأت فيه الأداة الفعالة لتحقيق طموحاتها السياسية، نظراً لسلطتها كوصية على ابنها القاصر. كما أظهرت صبح ثقة كبيرة بابن أبي عامر، لما لمسته فيه من قوة شخصية وكفاءة إدارية. بعد أيام قليلة من تنصيب هشام، تم تثبيت الحاجب جعفر المصحفي في منصبه، بينما رُقي محمد بن أبي عامر إلى مرتبة الوزارة ليكون معاوناً للمصحفي في إدارة شؤون الدولة. هذا التعيين أثار ريبة الحاجب جعفر الذي رأى فيه انتقاصاً من سلطانه ونفوذه، وفتح الباب لصراع داخلي بين الرجلين(٢٠).

سرعان ما برز محمد بن أبي عامر كصاحب السلطة الفعلية في الدولة، متفوقًا بقدراته الشخصية والدعم الذي حظي به من السيدة صبح، التي كانت على قناعة تامة بكفاءته السياسية وقدرته على تأمين عرش ابنها هشام. ومع مرور الوقت، أوكلت صبح لابن أبي عامر كامل الصلاحيات، مما مكنه من إدارة شؤون الحكم بكفاءة أشاد بها الجميع. أما الخليفة الشاب هشام المؤيد بالله، فكان يميل بطبيعته إلى اللهو والترف، وقد شجع كل من صبح وابن أبي عامر هذا الميل لديه، بما يخدم مصالحهما في الاستئثار بالسلطة وتوجيه مسار الدولة(٢١).

تمكن محمد بن أبي عامر من الاستيلاء على السلطة في الأندلس عبر سلسلة من الإجراءات الذكية والحازمة، بدءاً من حجب الخليفة هشام المؤيد بالله عن العامة والشؤون، وتحويله إلى سجين فعلي، لا يملك من أمره شيئًا سوى اسمه على السكة والدعوة. استغل ابن أبي عامر ضعف هشام وانشغاله بالترفيه، بينما كانت والدة الخليفة، صبح، تساعده في تبرير حجب ابنها(٢٢).

شكل الصقالبة قوة عسكرية وسياسية كبيرة، وكانوا في عداء مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي. استغل ابن أبي عامر هذا العداء لصالحه، وعمل على إضعاف نفوذهم. بعد اكتشاف مؤامرة يقودها زعمائهم، تم إغلاق باب الحديد الذي كان منفذاً لهم إلى القصر، وتم فصل غلمانهم. انحاز بنو برزال إلى ابن أبي عامر، مما زاد من قوته. في النهاية، اتفق ابن أبي عامر والمصحفي على إزالة خطر الصقالبة، فتم اغتيال زعيمهم درّى وتفريق شملهم، ومطاردة ومصادرة أموالهم، ونفي وقتل الكثير منهم، حتى انهار سلطانهم تماماً(٢٣).

استغل ابن أبي عامر فرصة الغارات القشتالية على الأندلس، وتقاعس الحاجب جعفر عن التصدي لها. تطوع ابن أبي عامر لقيادة الجيش، وحقق انتصارات عسكرية في قشتالة، مما رفع من معنويات الجنود وعزز مكانته لدى الشعب. ثم استغل العداء بين الحاجب جعفر والقائد غالب بن عبد الرحمن، أبرز فرسان الأندلس، لضم غالب إلى جانبه. نتج عن هذا التحالف تولي ابن أبي عامر قيادة جيش الحضرة، وغالب قيادة جيش الثغر. قاد ابن أبي عامر حملة عسكرية ثانية مع غالب، حققا فيها انتصارات جديدة، مما زاد من هيبته ونفوذه(٢٤).

بدأت ملامح الصراع الحاسم بين ابن أبي عامر وجعفر المصحفي تظهر بوضوح. فور عودة ابن أبي عامر إلى قرطبة، صدر أمر الخليفة بعزل جعفر المصحفي وتولية ابن أبي عامر مكانه. قام ابن أبي عامر بضبط الأمن في قرطبة وملاحقة الخارجين عن القانون(٢٥). في محاولة أخيرة لاحتواء الموقف، حاول الحاجب جعفر استمالة غالب من خلال مصاهرته، لكن ابن أبي عامر تدخل وخطب ابنة غالب لنفسه، وتم الزواج. قاد ابن أبي عامر حملته العسكرية الثالثة مع صهره غالب، محققًا المزيد من الانتصارات. في النهاية، صدر أمر الخليفة بالقبض على الحاجب جعفر المصحفي وعزله، وتم التنكيل به وسجنه حتى وفاته عام ٣٧٢هـ، حيث قيل إنه قُتل خنقًا أو بالسم(٢٦).

بعد القضاء على خصومه السياسيين، بمن فيهم الصقالبة وجعفر المصحفي، قام ابن أبي عامر بإزاحة بني أمية وزعماء القبائل البارزين من مناصبهم، مبرراً ذلك بالدفاع عن الخليفة. ثم أعاد هيكلة المؤسسة العسكرية، فأسس تشكيلات جديدة من الجنود المرتزقة، بما في ذلك البربر والنصارى، وأغراهم بالأجور السخية. كما قام بتفريق أفراد القبيلة الواحدة في وحدات عسكرية مختلفة، مما أضعف العصبية القبلية وعزز من سيطرته المطلقة على الجيش(٢٧).

بهذه الخطوات المدروسة والحاسمة، تمكن محمد بن أبي عامر من تأسيس سلطة قوية، وتهميش الخليفة، والقضاء على كافة المنافسين، ليصبح الحاكم الفعلي للأندلس.

رابعًا: ترسيخ النفوذ السياسي: تولي محمد بن أبي عامر الحجابة وبداية عصر السيطرة العامرية"

بعد أن تمكن محمد بن أبي عامر من القضاء على خصومه ومنافسيه، أصبح المتحكم الأوحد في السلطة الفعلية بالدولة، مستأثراً بقيادة الجيش وممسكًا بزمام الأمور، فيما غدا الخليفة هشام المؤيد بالله مجرد رمز شكلي للشرعية. لم يكتفِ ابن أبي عامر بهذه السيطرة، بل سعى إلى تعزيز موقعه السياسي بوسائل رمزية، مضفيًا على سلطته طابعًا ملوكيًا يمنحه مظهراً من العظمة والمهابة دون المساس الرسمي بمقام الخلافة.

دفعته دوافع سياسية وأمنية إلى إنشاء مركز مستقل للحكم، فجاءت فكرة تشييد مدينة إدارية جديدة باسم "الزاهرة". بدأ العمل على إنشائها عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م لتكون مقراً لحكومته ومركزاً لسلطانه. اختلفت آراء الباحثين حول الموقع الدقيق لمدينة الزاهرة، لكنها تضمنت قصراً ملكيًا فخمًا، مسجداً كبيراً، دواوين للإدارة، ومساكن للبطانة والحرس. كما نقل إليها خزائن الدولة من المال والسلاح، وأحاطها بسور ضخم لتحصينها. وقد اتسعت أرباض المدينة حتى اتصلت بأرباض قرطبة، مما جعلها تضاهي العاصمة الخليفية في فخامتها(٢٨).

في مطلع عام ٣٧٠هـ/٩٨٠م، انتقل محمد بن أبي عامر إلى قصره الجديد بمدينة الزاهرة، واتخذ لنفسه حرساً خاصاً من قبائل البربر وبعض الصقالبة. هذا الانتقال أدى إلى خلوّ مدينة الزهراء، مقر الخلافة التقليدي، من مظاهر السلطة والنشاط السياسي. عمد ابن أبي عامر إلى تعزيز سيطرته على الخليفة هشام المؤيد بالله، فأقام سوراً وخندقًا حول القصر الخليفي، وأغلق أبوابه بإحكام، وعيّن من يراقب من يدخل إليه أو يخرج منه. كما نشر العيون على هشام وحاشيته، مروّجاً أن الخليفة قد فوض إليه إدارة شؤون المملكة ليتفرغ للعبادة، ليصبح الخليفة معزولًا فعلياً عن العالم الخارجي.

كانت السيدة صبح، والدة الخليفة، أداة استخدمها ابن أبي عامر لتعزيز سلطته، إلا أن موقفها بدأ يتغير تدريجياً. أدركت نوايا ابن أبي عامر وخطورة طموحه على مستقبل ابنها والأسرة الأموية. تجاوزت السيدة صبح الأربعين من عمرها، وتحول الود القديم إلى نفور وكراهية بعد أن سلبها نفوذها وسلب ابنها سلطته. اتخذت صبح موقفاً معارضاً واضحاً تجاه محمد بن أبي عامر، وسعت لمقاومته وإضعاف سلطانه، لكن إدراكها لقوة خصمها دفعها للعمل الخفي(٢٩).

بدأت صبح تحرض ولدها الخليفة هشام على مقاومة ابن أبي عامر، وأطلقت دعاية نشطة تتهمه باحتجاز الخليفة واغتصاب سلطته. يبدو أن محاولاتها هذه كانت سبباً غير مباشر في التوتر الذي نشب بين ابن أبي عامر وصهره القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري، والي مدينة سالم. كان غالب من أبرز قادة الأندلس وأكفئهم، ويمتلك قوات متمركزة في الثغور، مما جعله محل ثقة العامة والمعارضين.

لتحصين موقعه، عين ابن أبي عامر جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي وزيراً إلى جانبه، واستقدمه من العدوة لكسب ولاء قبائل البربر، الذين شكلوا النواة الصلبة لحرسه.

لم تمضِ فترة طويلة حتى دب الخلاف بين القائد غالب وصهره محمد بن أبي عامر. حاول غالب استمالته ودعاه إلى مأدبة في أنتيسة، حيث تصاعد النقاش بينهما وهاجم غالب صهره بسيفه، لكن ابن أبي عامر نجا وفر. رداً على ذلك، استولى ابن أبي عامر على دار غالب في مدينة سالم ووزع الغنائم على جيشه.

تطور النزاع إلى مواجهة عسكرية حاسمة. تحالف غالب مع راميرو الثالث ملك ليون، ودارت معركة طاحنة قرب حصن "شنت بجنت" في محرم سنة ٣٧١هـ/أغسطس ٩٨١م. على الرغم من شجاعة غالب وقواته، إلا أنه وافته المنية على جواده في ظروف غامضة. فور إعلان موته، انهارت معنويات جيشه وانسحبوا في فوضى، واستغلت قوات ابن أبي عامر هذا الانهيار لمطاردة المنهزمين(٣٠).

بعد انتصاره على غالب، أظهر ابن أبي عامر قسوة بالغة، حيث أمر بتمثيل جثمان خصمه، وحشو جلده بالقطن، ثم صلبه على باب قصر قرطبة، بينما علق رأسه على باب الزاهرة، وبقي كذلك لسنوات(٣١).

لم يتردد ابن أبي عامر في التخلص من جعفر الأندلسي نفسه بعدما بات يشكل تهديداً محتملًا. استدرجه إلى مأدبة عام ٣٧٢هـ، وأمر بتسميمه ثم اغتياله سراً. بعد هذه الانتصارات، أعلن ابن أبي عامر عن نفسه بصفته الحاكم الفعلي، فلقب بالحاجب المنصور، وأمر بالدعاء له على المنابر، وصك اسمه على النقود. وبذلك، استكمل محمد بن أبي عامر إحكام قبضته على مقاليد الحكم، وقضى على كل معارضة داخلية، وأرسى دعائم حكمه الذي استمر دون منازع، ممثلًا بذلك ذروة السيطرة السياسية في تاريخ الخلافة الأموية في الأندلس(٣٢).

الخاتمة:

شكل صعود محمد بن أبي عامر إلى سدة الحكم في الأندلس نقطة تحول محورية في تاريخ الخلافة الأموية. لم يكن وصوله وليد الصدفة، بل نتاجاً لذكائه الفائق، طموحه الجامح، وقدرته الفريدة على استغلال الظروف وتكوين التحالفات. بدأ رحلته من قاع التسلسل الإداري، مستفيداً من أصوله العائلية وتعليمه الرفيع، ثم اتخذ مساراً حاسماً بفضل علاقته الوطيدة بالسيدة صبح، والدة الخليفة، التي رأت فيه الكفاءة والدهاء فدعمته في تدرجه السريع في المناصب.

مع وفاة الخليفة الحكم المستنصر وتولي ابنه القاصر هشام الخلافة، وجد ابن أبي عامر فرصته الذهبية لتثبيت دعائم سلطته. أدار الصراعات الداخلية ببراعة فائقة، فأضعف نفوذ الفتيان الصقالبة، وتحالف مع القوى العسكرية المناوئة، ثم قضى بذكاء على الحاجب جعفر المصحفي، أحد أبرز منافسيه. لم يكتفِ بذلك، بل عمل على تهميش الخليفة هشام تماماً، ليصبح الأخير مجرد رمز شكلي، بينما أصبح هو "الحاجب المنصور" الحاكم الفعلي للدولة.

توج محمد بن أبي عامر جهوده بتأسيس مدينة الزاهرة كعاصمة إدارية جديدة له، معززاً بذلك قبضته على السلطة. كما أعاد هيكلة الجيش، مؤسساً قوة عسكرية قوية من المرتزقة الموالين له شخصياً، مما أضعف الولاءات القبلية وعزز من سيطرته المطلقة. لقد شهدت الأندلس في عهد المنصور ذروة القوة العسكرية والسياسية، حيث قاد بنفسه حملات عسكرية ناجحة ضد الممالك المسيحية في الشمال.

وعلى الرغم من الاستقرار والقوة الظاهرية التي حققها المنصور، إلا أن سيطرته المطلقة، وتهميشه للخلافة الشرعية، زرعا بذور الضعف داخل بنية الدولة الأموية. فقد أدى تركيز السلطة في يد

شخص واحد، وتحويل الخليفة إلى سجين، إلى تآكل الشرعية وتفتيت نسيج الحكم بعد وفاته، مما مهد الطريق لسقوط الخلافة لاحقًا.

التوصيات:

١_ **دراسة أثر تهميش الخليفة:** تحليل كيف أثر تهميش محمد بن أبي عامر للخليفة على استقرار الدولة الأموية وانهيارها لاحقًا.

٢_ **تحليل دور المرأة في السلطة:** يمكن تحليل دور السيدة صبح كشخصية مؤثرة في صعود محمد بن أبي عامر، واستكشاف كيف استغلت نفوذها لتحقيق أهدافها، وما هي الحدود التي واجهتها لاحقًا.

٣_ **أثر بناء الزاهرة:** دراسة أثر بناء مدينة الزاهرة كمركز جديد للسلطة على التوازن السياسي والإداري في الأندلس، وكيف ساهمت في تعزيز قبضة المنصور على الحكم.

٤_ **تحليل التحالفات والصراعات:** دراسة كيفية إدارة ابن أبي عامر لتحالفاته وصراعاته للقضاء على خصومه.

هوامش البحث:

١. ابن عذارى: البيان المغرب، مكتبة صادر، بيروت، ج ٢، ص٣٨٢.
٢. ابن الآبار: الحلة السيراء، ت: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٦٨.
٣. الضبي: احمد بن يحيى بن عميرة(ت ٥٩٩ه/ ١٢٠٢م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، مصر، ١٣٨٦ه/ ١٩٦٧م، ص ٥٩.
٤. احمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (١٣٩٨ه/ ١٩٧٨م) ص٢٢٦، ٢٢٧.
٥. على القحطاني: الدولة العامرية في الأندلس، جامعة أم القرى، السعودية، رسالة ماجستير منشورة، ص١٧.
٦. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ج٢، ١٤١٧ه/ ١٩٩٧م، ص٥٢٣،٥٢٢.
٧. إبراهيم بيضون: الدولة العربية في اسبانيا من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م، ص٣٣١.
٨. أبو الحسن ابن بسام الشنتريني(ت٥٤٢ه/ ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت؛ إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ج٧، ١٩٧٩م، ص٦٠.
٩. عبد الله جمال الدين واخرون: تاريخ المسلمين في الأندلس، شركة سفير، القاهرة، ج٧، ١٩٩٦م، ص٩٠.
١٠. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٦.

١١.خليل ابراهيم السامرائي واخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤٦٥.

١٢.محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٥٢٣.

١٣.محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٥٢٤.

١٤.ابي الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤، المجلد الأول، ص٤٢.

١٥.محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٥٢٤.

١٦.أحمد حسن الزيات: مجلة الرسالة، العدد ٦٠، (شخصية نسوية اندلسية) لمحمد عبد الله عنان، ١٩٣٤م.

١٧.المقري(١٠٤١ه/ ١٦٣٢م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ت: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م، ص٣٩٨.

١٨.احمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٢٣.

١٩.أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٢٤.

٢٠.- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٥٢٤.

٢١.محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٥٢٥.

٢٢.ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ت: ليفي برُوفنسال، ص٥٨.

٢٣.ابو الحسن بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤، المجلد الأول، ص٤٤.

٢٤.ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٥.

٢٥.ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج١، ص ١٤٢.

٢٦.ابن خلدون (ت ٨٠٨ه/ ١٤٠٦م): ديوان المبتدأ والخبر؛ ت: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج٤، ١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م، ص١٨٩.

٢٧.ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، ج٤، ص١٩٠.

٢٨.أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٤٢.

٢٩.ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٨_٣٠٠.

٣٠.خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٩٦.

٣١.رواية ابن حزم في رسالة " نقط العروس " (المنشورة في مجلة كلية الآداب بالقاهرة، عدد ديسمبر ١٩٥١م، ص ٨١ _٨٢.

٣٢.محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢،ص٥٤٠.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر العربية:

_ ابن الآبار: أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر القضاعي(ت ٦٥٨ه/ ١٢٦٠م): الحلة السيراء؛ ت: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٨٥م.

_ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت: ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ج٢، ط٣، ١٩٨٣.

_ ابن خلدون (ت ٨٠٨ه/ ١٤٠٦م): ديوان المبتدأ والخبر؛ ت: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج٤، ١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م

_ أبو الحسن ابن بسام الشنتريني(ت٥٤٢ه/ ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت؛ إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ج٧، ١٩٧٩م.

_ الضبي: احمد بن يحيى بن عميرة(ت ٥٩٩ه/ ١٢٠٢م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، مصر، ١٣٨٦ه/ ١٩٦٧م.

_ المقري(١٠٤١ه/ ١٦٣٢م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ت: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م.

_ رواية ابن حزم في رسالة " نقط العروس " (المنشورة في مجلة كلية الآداب بالقاهرة، عدد ديسمبر ١٩٥١م.

ثانياً: المراجع العربية:

_ احمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٩٨ه/ ١٩٧٨م.

_ خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠م.

_ عبد الله جمال الدين واخرون: تاريخ المسلمين في الأندلس، شركة سفير، القاهرة، ج٧، ١٩٩٦م.

_ إبراهيم بيضون: الدولة العربية في اسبانيا من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م.

_ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ج٢، ١٤١٧ه/ ١٩٩٧م.

ثالثًا: الدوريات:

_ أحمد حسن الزيات: مجلة الرسالة، العدد ٦٠، (شخصية نسوية اندلسية) لمحمد عبد الله عنان، ١٩٣٤م.

_ على القحطاني: الدولة العامرية في الأندلس، جامعة أم القرى، السعودية، رسالة ماجستير منشورة، ١٤٠١ه/ ١٩٨١م.